المخابرات فى صدر الإسلام

ازدادت حاجة المسلمين إلى الاستخبار منذ خرج النبى محمد ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة يرافقه صاحبه «**أبو بكر الصديق**» . وبعدها حدثت عدة عمليات منها :

* **أخبار أيام الهجرة الأولى** : فى الطريق إلى المدينة كمنا فى غار حراء ثلاثة أيام. وكان «عبدالله بن أبى بكر» يحمل لهما أخبار أحوال المسلمين والكفار فى مكة أولاً بأول .

* **سرية «عبدالله بن جحش»** : فى السنة الثانية للهجرة ، كلف النبى ﷺ «**عبدالله بن جحش**» ، برصد تحركات قريش ، ومعرفة أخبارهم إذا يروى أن رسول الله دفع إلى «**ابن جحش**» كتاباً أمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين ، وينفذ ما فيه .

ولما فتح الكتاب فى حينه ، قرأ نصه : «إذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم» .

أعلن «عبدالله بن جحش» محتوى الكتاب على رفاقه ، وساروا نحو غايتهم السامية فى مهمتهم الاستطلاعية لقوات المشركين ، والتقوا بثلاثة تخلفوا عن قافلة لقريش حتى يحصلوا على معلومات عن قوات المسلمين ، فاشتبك معهم «عبدالله بن جحش» ورجاله ، وقتل أحدهم ، واقتاد الآخرين إلى النبى ﷺ يستجوبهم .

* **عيون على أبى سفيان** : فى غزوة بدر الكبرى ، خرج ﷺ من المدينة ، وسار مع أصحابه حتى اقتربوا من «**الصفراء**» ، وبعث من يأتيه بأخبار «**أبى سفيان بن حرب**» ، وأخبرته العيون أن قريشاً سارت إلى أبى سفيان ليمنعوا إبله وتجارته حتى لا تقع فى أيدى المسلمين . وفى غزوة بدر أيضاً ، أرسل النبى اثنين من المجاهدين للحصول على معلومات عن قوات المشركين ، فوجد أحدهما غلامين لقريش يستقيان من بئر بدر ، فأحضرهما إلى الرسول الكريم ، وسألهما عن عدد الجمال التى ينحرونها للجيش ، فأجابا بأنهم ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً. ومن ذلك أدرك عليه الصلاة والسلام أن عدد مقاتلى المشركين يتراوح بين

٩٠٠ ـ ١٠٠٠ ، لأن عادة العرب أن يخصصوا بعيرا لكل مائة رجل .

* **على بن أبى طالب فى مهمة** : عملية التموية التى قام بها على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ ، لم تكن عملية المخابرات الأولى ولا هى الأخيرة ، إذ أن النبى عليه الصلاة والسلام أمره بعد موقعة أحد ، أن يقتفى أثر الكفار ويستطلع نواياهم ، فوجد أنهم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فعرف أنهم عائدون إلى مكة، بعد أن مثلوا بكثير من قتلى المسلمين ، جدعت نساؤهم الأنوف ، وقطعن الآذان ، واتخذن منها قلائد . وبقرت هند بنت عتبة بطن حمزة عم رسول الله . وأمر رسول الله بتغطية جثمان حمزة ببرده ، ثم صلى عليه وعلى القتلى ٧٢ صلاة ، وأمر بدفنهم .

* **حيلة نعيم بن مسعود** : علم النبى أن قريشاً عبأت جيوشها و«**بنى غطفان**» ، وانشغلت بمحاولة استمالة قبيلتى «**بنى قريظة**» و «**بنى أشجع**» ، للتحالف معها والحنث بعهدهما للنبى ، توطئة لمهاجمة المسلمين فى «المدينة» بادر النبى فأمر بحفر خندق حول «**يثرب**» ، كان الأول من نوعه ، وكان مفاجأة أذهلت الكفار وعوقتهم عن مهاجمة المدينة . كما جعلتهم صيدا سهلا لسهام المسلمين ، وتحقق النصر للمسلمين ، خصوصاً وأن أمل قريش فى استمالة غطفان وبنى أشجع إلى جانبهم قد خاب بفضل «**نعيم بن مسعود**» .. فماذا فعل ؟؟ .

«**نعيم بن مسعود**» من وجهاء بنى غطفان . أسلم سرا ولم يشهر إسلامه بين قومه . ذهب إلى النبى محمد وأكد خبر محاولة قريش وبنى غطفان حض «**بنى قريظة**» و «**بنى أشجع**» على خيانة المسلمين والنكوص بعهدهم ؛ وقال «**نعيم**» إنه طوع أمر رسول الله ، فكلفه الرسول بإفساد مؤامرتهم بالحيلة إذا استطاع .

ذهب «**نعيم**» إلى «**بنى قريظة**» أعزل من أى سلاح إلا سلاح المكر والدهاء ، فأوقع بينهم وبين قريش وغطفان ، زرع فى نفوسهم الشك والارتياب ، وحذرهم من أنهم سوف يتخلون عنهم حين تدور الدوائر ، بعد أن يكونوا قد خسروا حلف المسلمين وحسن جوارهم ، وتأكيدا لصدق رأيه نصحهم بأن يطلبوا من قريش وغطفان رهناً من أشرافهم ، يظلون بأيديهم حتى يضمنوا صدقهم واستمرار نصرتهم .

تركهم «**نعيم**» بعد أن أقنعهم بحيلته ، وذهب إلى قريش وغطفان ، وأخبرهم أن بنى قريظة يضمرون لهم شراً ، وأنهم رافضون للحلف المعروض عليهم ، راغبون فى استمرار تحالفهم مع المسلمين ، وقد أرسلوا إلى النبى يؤكدون وفاءهم بالعهد، واستعدادهم لأخذ رجال من أشراف قريش وغطفان وتقديمهم ليضرب المسلمون أعناقهم .

أوفدت قريش وغطفان «**عكرمة بن أبى جهل**» فى رهط منهم إلى «**بنى قريظة**» يستنفرهم للقتال ، فامتنعوا بحجة أنهم لا يقاتلون يوم السبت ، واشترطوا إعطاءهم رهناً من رجالهم يحتفظ بهم «**بنو قريظة**» ضماناً لعدم التخلى عن العهد إذا اشتدت المحنة . ورفضت قريش وغطفان شرط الرهن . واقتنعت كل الأطراف بصدق «**نعيم بن مسعود**» ، ودب التخاذل فى صفوف الأحزاب ، ثم كانت مفأجاة الخندق ، وتحقق نصر المسلمين .

ومما يذكر أن النبى ﷺ اعتمد فى غزواته وغاراته على القوافل المكية على المعلومات التى كان يزوده بها أعوانه فى مكة ، بينما لم يكن للكفار من يزودهم بأخبار المسلمين والأنصار فى «**المدينة**» . وكان النبى ﷺ يوصى المسلمين بكتمان أسرارهم ، لعلهم يصيبون العدو على غير استعداد ، وينتصرون دون سفك دماء أو إزهاق أرواح ، كما حدث قبيل فتح مكة ، إذ صدر عن رسول الله ﷺ أمر كريم «أن يحفظ المسلمون أسرارهم ، ويضنوا بمخبآت ضمائرهم ، لعلهم يصيبون قريشاً على غير استعداد ، ويدخلون مكة من غير كيد أو عناد .. فلا يسفك فى البلد الحرام دماً ، ولا يزهق روحاً ، ولا يثير حرباً ، ولا يذكى ضرام عداء» *

* **تقرير بشر الخزاعى** : ومن نماذج تقارير رجال مخابرات جيش النبى ﷺ قول «**بشر الخزاعى**» لرسول الله ﷺ : «لقد دلفت إلى قريش أتسقط أسرارها ، وأتعرف أخبارها ، وما راعنى إلا أن خبر مسيرك قد ترامى إليهم ، وحديث رؤياك قد هبط عليهم ، ولا أدرى كيف وقع عليهم الخبر ، ولا كيف استنشقوا حديث الرؤيا .. إنهم يا رسول الله خرجوا ومعهم النياق بأولادها ، ولبسوا جلود النمور ، وعاهدوا أنفسهم ألا تدخل عليهم مكة أبدا . وهذا «خالد بن الوليد» ، وهو من يعدونه بهمتهم ، وفارس حلبتهم ، قد خرج يستقبلك بخيله ، ولعله الآن فى «**كراع الغميم**» .

---

* ص ٣٣٧ ـ قصص القرآن ـ محمد أحمد جاد المولي .